

## ومن يتبع غير الإسلام ديناً

### فطرت الله التي فطر الله عليها:

في حوار لي مع أسرة بريطانية تتكون من أب وأم وطفل عمره عشرة أعوام، وأثناء إجابتي عن سؤال الأم عن عقيدة المسلمين، قال الطفل الصغير وقد كان غاية في الجمال والذكاء: إذا أفهم من كلامك أنه إذا كنت في قاعة الاختبار في مدرستي وصعب عليّ سؤال، وتوجهت لله مباشرة بالدعاء ولم أتوجه إلى المسيح، فأنا في هذه اللحظة مسلم؟ قلت له: نعم. وتذكرت حينها الآية الكريمة "فَطَرْتُ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا"<sup>1</sup>، وقد ابتهجت فرحاً بتعليق الطفل، والذي شعرت من إجابته أن الرسالة التي أريد أن أوصلها لهم قد وصلت وبسهولة.

### ورحمة ربك خير مما يجمعون:

أذكر قصة لحواري مع لاعب كرة قدم لاتيني شهير مع والدته والطبيب المعالج الذي صاحبه أثناء الزيارة، بعد اقتناعهم التام بالتوحيد، كان من ضمن ما سألوها، هو عن تقصير المسلمين في التعبير عن أنفسهم وعن إبلاغ الدين الصحيح، حيث قال اللاعب: الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للرسول محمد، هي عبارة عن سلسلة لرسوم مسيئة للمسيح أيضاً ومسيئة للخالق نفسه، فمن يرسم هذه الرسوم هم مجموعة من الملحدون الذين يكرسون وقتهم وجهدهم للاستهزاء بجميع الرموز الدينية لجميع الديانات، فلماذا لا يتظاهر المسلمون غضباً عندما يُساء إلى الإله الخالق مثلاً أو حتى المسيح، ويتظاهرون فقط من أجل الرسول محمد؟ لقد نجم عن هذه التصرفات سوء فهم كبير، حيث أننا بنتنا متيقنون أن محمداً إله المسلمين.

قلت له: هذا صحيح، لكن المسلمين غير مثاليين، هم بشر يخطئون ويصيبون.

قلت لهم معقبة: وأنا نفسي أعجب جداً، كيف يتواجد أعداد هائلة من المسلمين في أوروبا مثلاً، ولا زال الأوروبي لا يعرف عن دين المسلمين سوى أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصوم فقط، ولا يعرف أركان الإيمان والتي من ضمنها الإيمان بنبوة عيسى المسيح والإيمان بالإنجيل الصحيح.

وفي نهاية الحوار أعلن اللاعب ووالدته وطبيبه إسلامهم وسط أجواء من الفرح والسرور.

وأذكر قصة لمجموعة كبيرة من دولة بنما اللاتينية، وقد كان باص كبير قد أقلهم إلينا، وجاءوا في وقت متأخر جداً، حيث كان موعد مغادرتي بعد يوم حافل بالعمل، وتبين لي أن المرشدة السياحية التي رافقتهم قد جاءت بهم في وقت متأخر حتى لا تعطيتهم فرصة للاستماع للعرض المختصر عن الإسلام لضيق الوقت لديها في جدول برنامجها لذلك اليوم، حيث أخبرتني أن الوقت محدود، وقالت لي مازحة: وأنت تبدين متعبة، ولم يتبق على أذان المغرب كثير من الوقت، حيث يتوجب عليهم مغادرة قاعة المسجد فوراً.

قلت لها: لا عليك، أنا لست متعبة، وأستطيع أن أنهي الزيارة قبل أذان المغرب.

وقبلت على مضض، وبدأت أنا بالتحدث إليهم وفوجئت بالجميع يجلس على الأرض، وقد انهلوا عليّ بالأسئلة، ومن ضمنها، الفرق بين دين الإسلام واليهودية والنصرانية، ونبوءة سيدنا محمد، وغيرها من الأسئلة.

<sup>1</sup> (الروم:30).

قلت لهم: دين الإسلام هو دين التوحيد الذي يمارسه الكثير في بلدكم بالفطرة، وهو عبادة الله وحده بدون وسيط، والإيمان بأن المسيح هو أحد رسل الله.

قالوا: ومن هو الله؟

قلت لهم: يستخدم النصارى واليهود والمسلمون في الشرق الأوسط كلمة (الله) إشارة إلى الإله، وهي تعني الإله الواحد الحق، إله موسى وعيسى، وقد ذُكرت كلمة الله في النسخة القديمة للعهد القديم 89 مرة<sup>2</sup>.

قال أحدهم: أنا قرأت القرآن، لماذا يشير الخالق إلى نفسه بصيغة الجمع مادام هو واحد أحد وليس ثالثاً؟

قلت له: استخدام رب العالمين لكلمة "نحن" في التعبير عن ذاته في كثير من آيات القرآن الكريم تُعبّر عن أنه وحده جامع لصفات الجمال والجلال وتُعبّر كذلك عن القوة والعظمة في اللغة العربية، وكذلك في اللغة الإنجليزية تُسمّى "نحن الملكية"، حيث يستخدم ضمير الجمع للإشارة لشخص في منصب كبير (كالمملك، العاهل أو السلطان)، غير أن القرآن كان دوماً يُشدد على وحدانيّة الله فيما يتعلق بالعبودية.

واشدد غضب المرشدة وهي تواجه بالرفض منهم كلما طلبت منهم المغادرة لضيق الوقت، ودخل موعد الصلاة ولم يقبلوا الخروج لكثرة الأسئلة، وقد كان التعليق المتداول بينهم: وجدنا الحقيقة، وقد ضاعت سنين عمرنا دون أن نعرفها.

وأذكر أيضاً قصة لفريق كرة سلة مكسيكي، كان لمجموعة من الشباب الذين لا تتجاوز أعمارهم العشرون عاماً، لكن مختارون بعناية من طوال القامة، وحضر معهم الطاقم المرافق لهم، وعندما قلت لهم: المسلم هو من يؤمن بإله واحد أحد، ويعبده وحده بدون وسيط، ومحمد رسول، وعيسى رسول، صرخوا بصوت واحد وقالوا: هذا ما نؤمن به، وشهد أكثر من نصف الفريق بلا إله إلا الله محمد رسول الله، وتحافت الباقي على طلب ترجمة معاني القرآن بالإسبانية وكتيبات للقراءة ومنهم من بكى، وقلت في نفسي: ما الذي قلته لهم حتى يجعلهم متألّفين فرحاً؟ أنا لم أتكلّم سوى بضع دقائق، فسبحان من جبل القلوب السليمة على الدين السليم.

أذكر أيضاً في لقائي مع سيدة بريطانية في التسعين من عمرها، وهي أرملة لشخصية مرموقة، كانت قد جاءت مع صديقتها البريطانية أيضاً، وسائقها الهندي، وبكت السيدة بمجرد أن بدأت أنا بالكلام، وقالت: أنا أعتقد أن لا إله إلا الله وأن عيسى رسول الله.

وقالت بعدها: أنا أحب زوجي جداً، وقد مات منذ عشرة أعوام، فإذا أسلمت الآن، ما سيكون مصير زوجي؟ هل سألقاه في الجنة؟

قلت لها: ما كانت عقيدة زوجك في المسيح؟ هل كان يؤمن مثلك أنه نبي؟ أم إله؟

قالت: هل تصدقيني إن قلت لك أنني لا أعرف؟ لقد استمر زواجنا ستون عاماً، ولا أذكر أن تناقشنا بهذا الموضوع، وزاد بكاء السيدة، حتى شعرت أنني أتألم من الحزن عليها.

قلت لها: إن الله رحيم بخلقه أكثر من الأم بولدها، وهو يرحم من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، لعل زوجك كان منهم، وأمره إلى الله.

وغادرت السيدة المسجد تحت إلحاح من صديقتها، والتي لم يترك لها الحوار، ولم تطلب مني السيدة حينها اعتناق الإسلام.

وعادت السيدة بعد حوالي ثلاثة شهور برفقة حفيدها وصديقتها وسائقها الشخصي الذي جاء في المرة السابقة، وسألت موظفات الاستقبال عني، وكنت قد فرحت جداً لرؤيتها.

<sup>2</sup> (سفر التكوين 2:4، سفر دانيال 6:20، الترجمة العربية والعربية للإنجيل).

قال لي سائقها: هي لم تتوقف عن الحديث عن اللقاء السابق منذ خرجت المرة الماضية، وهي تريد أن تعلن إسلامها، لأنها مقتنعة أنه الدين الحق، وبصراحة أنا أيضاً مقتنع بذلك جداً.

قلت له بعد أن نطقت السيدة بالشهادة: وهل تريد أن تشهد مثلها؟

قال: للأسف مع اقتناعي العميق بهذا الدين، ولكن لا أستطيع أن أغير دين آبائي وأجدادي.

### أفجعل المسلمين كالمجرمين:

سألني ملحد يوماً: لماذا يعذب الله عباده إذا لم يؤمنوا به؟

قلت له: يجب أن نفرق بين الإيمان والتسليم لرب العالمين.

فالخلق المطلوب لرب العالمين الذي لا يسع أحد تركه هو التسليم له بالوحدانية وعبادته وحده لا شريك له، وأنه الخالق وحده له الملك والأمر، سواء رضينا أم أبينا وهذا أصل الإيمان، ولا نملك خياراً آخر، والتي على ضوءها يحاسب الإنسان ويعاقب.

وما يقابل التسليم هو الإجمام بحق رب العالمين.

" أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ"<sup>3</sup>.

وأما الظلم فهو جعل شريك أو ند لرب العالمين

"...فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ"<sup>4</sup>.

" الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ"<sup>5</sup>.

قال: ماذا أخسر لو كفرت بالخالق؟ قلت له:

### من كفر بالخالق حاله في الحياة الدنيا:

أكثر الناس حزناً ولو تظاهر بالفرح.

"وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى"<sup>6</sup>.

عند المصيبة فإنه غير مأجور.

"وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا"<sup>7</sup>.

إذا أراد شيئاً فلا يجد من يطلب منه.

"... وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَالِيهِ<sup>8</sup> وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ"<sup>8</sup>.

أقصى أعدائه المخلوقات الضعفاء.

"...وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ التُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ<sup>9</sup> .."<sup>9</sup>.

إذا أفرجه شيء علم أنه بالموت لن يدوم.

"...وَقَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ"<sup>10</sup>.

ولو تعرض لظلم فلا يعتقد أنه سينصره حي قيوم.

<sup>3</sup> (التلم: 35).

<sup>4</sup> (البقرة: 22).

<sup>5</sup> (الأعام: 82).

<sup>6</sup> (طه: 124).

<sup>7</sup> (الفرقان: 23).

<sup>8</sup> (الرعد: 14).

<sup>9</sup> (البقرة: 257).

<sup>10</sup> (الرعد: 26).

"مَنْ كَانَ يَطْنُ أَنْ لَنْ يَبْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَطْغَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ"<sup>11</sup>.  
فكيف لا ينتحر؟

### ومن كفر بالخالق حاله في الحياة الآخرة:

يطلب الأمان فلا يجد.

"وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ"<sup>12</sup>.

يطلب النجدة من الذين عبدتهم من دون الله فيتحلوا عنه.

"وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ"<sup>13</sup>.

يطلب النعيم فلا يجد.

"...أَيُّضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ؕ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ"<sup>14</sup>.

يطلب الفوز فلا يجد.

"يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَصُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يَتَادُونَهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَهُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرْتَضَوْنَ مِنْهَا حِطًّا وَأَنْتُمْ عَنْهَا غَافِلُونَ (١٤) قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ؕ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"<sup>15</sup>.

حتى أنه يطلب الهلاك ليتخلص من العذاب ولا يستطيع.

"وَتَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ ؕ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ"<sup>16</sup>.

حتى الشيطان يتخلى عنه.

"وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ؕ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ؕ فَلَا تُلْمُونِي وَأُلْمُوا أَنْفُسَكُمْ ؕ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتم بِمُصْرِخِي ؕ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلِ ؕ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"<sup>17</sup>.

يخلد في النار.

"فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ؕ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ"<sup>18</sup>.

فلو تكلمت الأحجار، ونطقت الأشجار والأطيار، لقات لا إله إلا الله الملك القهار.

"لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ؕ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ"<sup>19</sup>.

لا إله إلا الله حصن الله ومفتاح الجنة وأمان من العذاب، وهي أفضل الذكر، وليس بينها وبين الله حجاب، وموجبة لشفاعته الرسول.

قال رسول الله: "... أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه"<sup>20</sup>.

قال رسول الله: " وأفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله "<sup>21</sup>.

<sup>11</sup> (الحج: 15).

<sup>12</sup> (النور: 39).

<sup>13</sup> (النص: 64).

<sup>14</sup> (الأعراف: 50).

<sup>15</sup> (الحديد: 13).

<sup>16</sup> (الزخرف: 77).

<sup>17</sup> (إبراهيم: 22).

<sup>18</sup> (هود: 106-107).

<sup>19</sup> (الحشر: 21).

<sup>20</sup> (صحيح البخاري).

<sup>21</sup> (الترمذي).

قال: ماذا أكسب لو أسلمت؟

### حال المؤمن في الدنيا والآخرة:

لا خوف عليه ولا حزن.

"لِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"<sup>22</sup>.

وعده الله بالأمان.

"الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ"<sup>23</sup>.

وعده الله بالأجر عند المصيبة.

"فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"<sup>24</sup>.

"وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ"<sup>25</sup>.

يجد من يلجأ إليه في الشدائد.

"وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ السَّاعِدِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ"<sup>26</sup>.

وليئه الله رب العالمين.

"اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..."<sup>27</sup>.

يُناب على صبره في الدنيا والآخرة.

"وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَلَآجِرَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ ۗ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"<sup>28</sup>.

"قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۗ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ"<sup>29</sup>.

وعده الله النصر في الدنيا والآخرة.

"إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ"<sup>30</sup>.

وعده الله النعيم الأبدي.

"وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ"<sup>31</sup>.

قال: وكيف أطبق التوحيد في حياتي؟

قلت له: قال رسول الله:

"يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْعَقُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْعَقُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ ۗ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَحُفَّتِ الصُّحُفُ"<sup>32</sup>.

<sup>22</sup> (الحقاف: 13).

<sup>23</sup> (الأنعام: 82).

<sup>24</sup> (آل عمران: 170).

<sup>25</sup> (البقرة: 155 - 157).

<sup>26</sup> (البقرة: 186).

<sup>27</sup> (البقرة: 257).

<sup>28</sup> (النحل: 41).

<sup>29</sup> (الزمر: 10).

<sup>30</sup> (غافر: 51).

<sup>31</sup> (هود: 108).

<sup>32</sup> (الترمذي).

إن خفت فقل:

"... حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" <sup>33</sup>.

"فَأَشَلُّبُوا بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ وَقَضَى لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ" <sup>34</sup>.

وإن مُكر بك فقل:

"... وَأَقْوَصُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ" <sup>35</sup>.

"فَوَقَاةُ اللَّهِ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا" <sup>36</sup>.

وإن طلبت الدنيا وزينتها قل:

"... مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ..." <sup>37</sup>.

"فَقَسَى رَبِّي أَنْ يُؤَيِّنَ خَيْرًا مِنْ حَبْتِكَ" <sup>38</sup>.

وإن أصابك غم فقل:

"... أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ..." <sup>39</sup>

"فَاسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ صُرْحٍ وَأَقْبْتَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرُنَا لِلْعَابِدِينَ" <sup>40</sup>.

والإيمان قضية غيبية تقتضي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، والقبول والرضا بقضاء الله وقدره.

"قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ" <sup>41</sup>.

الآية الكريمة أعلاه تدلنا على أن الإيمان مرتبة ودرجة أرفع وأسمى وهي الرضا والقبول والقناعة، والإيمان درجات ومراتب يزداد وينقص. فقدرة الإنسان وسعة قلبه على استيعابه للأمر الغيبية تختلف من شخص لآخر، والبشر يتمايزون في سعة إدراكهم لصفات الجمال والجلال ومعرفتهم برحمتهم.

فلن يعاقب إنسان على قلة إدراكه للغيبيات أو ضيق أفقه، ولكن يؤاخذ الله الإنسان على الحد الأدنى المقبول منه للنجاة من الخلود في النار، وهو التسليم لله بالوحدانية وأن له الخلق والأمر وعبادته وحده، وبهذا التسليم يغفر الله ما سواه من الذنوب لمن يشاء. ولا خيار آخر أمام الإنسان، فإما الإيمان والفوز وإما الكفر والخسران، إما أن يكون شيء أو لا شيء.

"إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا" <sup>42</sup>.

فالإيمان قضية تتعلق بالغيب وتتوقف عندما ينكشف الغيب أو تظهر علامات الساعة.

"... يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا" <sup>43</sup>.

والإنسان إن أراد أن ينتفع من إيمانه بالأعمال الصالحة ويزيد من حسناته فلا بد أن يكون ذلك قبل قيام الساعة وانكشاف الغيب.

<sup>33</sup> (آل عمران: 173).

<sup>34</sup> (آل عمران: 174).

<sup>35</sup> (غافر: 44).

<sup>36</sup> (غافر: 45).

<sup>37</sup> (الكهف: 39).

<sup>38</sup> (الكهف: 40).

<sup>39</sup> (الأنبياء: 87).

<sup>40</sup> (الأنبياء: 84).

<sup>41</sup> (الحجرات: 14).

<sup>42</sup> (النساء: 48).

<sup>43</sup> (الأنعام: 158).

أما الإنسان الذي ليس له أعمال صالحة فيجب ألا يخرج من الدنيا إلا وهو مستسلم لله ومسلم بقضية الوجدانية، والعبادة له وحده، إذا ما كان يرجو النجاة من الخلود في النار، فالخلود المؤقت قد يقع لبعض أهل المعاصي، فهذا تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وإن شاء أدخله النار.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" 44.

والإيمان في دين الإسلام قول وعمل، فهو ليس إيمان فقط كما في تعاليم النصرانية اليوم، ولا عمل فقط كما هو الحال في الإلحاد، ولا تستوي أعمال الإنسان في مرحلة إيمانه بالغيب وصره، مع الإنسان الذي عاين وشاهد وانكشف له الغيب في الآخرة، كما لا يستوي من عمل لله في مرحلة الشدة والضعف وعدم معرفة مصير الإسلام، مع من عمل لله والإسلام فيها ظاهر وعزيز وقوي.

"... لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ آمَنَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ أُولَئِكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا" وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى... 45.

ورب العالمين لا يعاقب بدون سبب، فالإنسان إما يحاسب ويعاقب على تضييع حقوق العباد أو حق رب العالمين.

- الحق الذي لا يسع أحد تركه للنجاة من الخلود في النار، وهو التسليم لرب العالمين بالوجدانية وعبادته وحده لا شريك له، يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله وأشهد أن رسل الله حق وأشهد أن الجنة حق والنار حق". والقيام بحقها.

- عدم الصد عن سبيل الله أو معاونة أو مساندة أي عمل يقصد به الوقوف في وجه الدعوة أو انتشار دين الله.

- عدم هضم أو ضياع حقوق الناس أو ظلمهم.

- كف الشر عن الخلق والمخلوقات، وإن تطلب ذلك أن ينأى بنفسه أو يعتزل الناس.

فالإنسان ربما لا تكون له أعمال صالحة كثيرة لكنه لم يضر أحداً أو ينشغل بأي عمل يسيء لنفسه أو للناس، وشهد الله بالوجدانية، يُرجى له بذلك النجاة من عذاب النار.

"مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا" 46.

فالبشر يتم تصنيفهم على مراتب ودرجات ابتداءً من أعمالهم في الدنيا في عالم الشهادة وحتى قيام الساعة وانكشاف عالم الغيب وبدء الحساب في الآخرة، فمن الأقوام من يتليهم الله في الآخرة كما ورد في الحديث الشريف.

فرب العالمين يعاقب الأقوام كالأقوام حسب أعماله وأفعاله السيئة إما يعجلوها في الدنيا وإما يؤخرها للآخرة، ويتوقف ذلك على مدى فداحة الفعل وإذا ما كان له توبة، ومدى أثره وضرره على الحرث والنسل وسائر المخلوقات والله لا يحب الفساد.

فالأقوام السابقة كقوم نوح وهود وصالح ولوط، وفرعون وغيرهم ممن كذبوا بالرسول فعاجلهم الله العقوبة في الدنيا وذلك بسبب أفعالهم المنكرة وطغيانهم، فهم لم يناوؤا بأنفسهم أو يكفوا شرهم بل تبادوا، فقوم صالح قتلوا الناقة، وقوم فرعون لحقوا بقوم موسى بغياً وعدواً، وقوم لوط أصروا على الفاحشة، وقوم شعيب أصروا على الفساد وضياع حقوق الناس في المكيال والميزان، وقوم هود الذين تجبروا في الأرض وقوم نوح الذين أصروا على الشرك بعبادة رب العالمين.

"فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" 47.

44 (آل عمران: 102)

45 (الحديد: 10).

46 (النساء: 147).

47 (العنكبوت: 40).

"مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ" 48 .

قال: هذا لأنك وُلدت في أسرة مسلمة فإنك تدافعين عن الإسلام، لو كنت ولدت في أسرة نصرانية لكنت الآن تبشرين للنصرانية، لا أحد يستطيع أن يغير دين آباءه وأجداده.

قلت له: أنت جعلت الإنسان بذلك تابعاً لغيره، وجزمت أنه لن يترك دين أهله! وسلبت منه حق الاستقلال الفكري، والتمييز بين الحق والباطل، وحكرت على طلبه للعلم! وهذا خطأ جسيم، لأنه من حق الإنسان أن يطلب العلم ويبحث في آفاق هذا الكون، فالله سبحانه وتعالى أودع فينا هذه العقول لنستخدمها لا لنعطلها، فكل إنسان يتبع دين آباءه دون إعمال للعقل، وبلا تفكير وتحليل لهذا الدين، فهو بلا شك ظالم لنفسه، محتقر لذاته، محتقر لهذه النعمة العظيمة التي أودعها الله تعالى فيه ألا وهي العقل.

قلت له مستطردة: فكم من مسلم نشأ في أسرة موحدة، وحاد عن الطريق بالشرك بالله، وهناك من نشأ في أسرة مشركة أو نصرانية يؤمن بالتثليث، ورفض هذه العقيدة وقال: لا إله إلا الله.

قلت له: سأروي لك قصة رمزية لتوضح هذه النقطة، حيث قامت زوجة بطبخ سمكة لزوجها ولكنها قطعت الرأس والذيل قبل أن تطبخها، وعندما سألتها زوجها: لماذا قطعت الرأس والذيل؟ قالت: إن أمي تطهوها بهذه الطريقة، سألت الزوج الأم: لماذا تقطعين الذيل والرأس عندما تطبخين السمك؟ أجابت الأم: إن أمي تطهوها بهذه الطريقة. بعدها سألت الزوج الجدة: لماذا تقطعين الرأس والذيل؟ أجابت: كان قدر الطهي في البيت صغيراً وكان عليّ أن أقطع الرأس والذيل لأتمكن من إدخال السمكة في القدر.

الواقع أن كثيراً من الأحداث السابقة والتي جرت في العصور التي سبقتنا كانت رهينة عصرها وزمنها، ولها أسبابها التي ارتبطت بها ولعل القصة السابقة تعكس ذلك، والواقع أنها كارثة بشرية، أن نعيش في زمان ليس بزماننا وأن نقلد أفعال غيرنا دون أن نفكر أو نسأل رغم اختلاف الظروف وتغير الأزمنة.

"إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ" 49 .

قال: وما مصير من لم تبلغه رسالة الإسلام؟

قلت له: هؤلاء لن يظلمهم الله عز وجل ولكنه سوف يمتحنهم في يوم القيامة.

قال: والبشر الذين لم تكن لهم الفرصة برؤية الاسلام جيداً؟

قلت له: فهؤلاء ليس لهم عذر، لأنه كما ذكرنا فلا ينبغي لهم التقصير في البحث والتفكير. وإن حكم الله تعالى عليهم بالعذاب ليس ظلماً بعد كل هذه الحجج التي أقامها عليهم، من العقل والفترة والرسالات والآيات في الكون وفي أنفسهم، وأقل شيء كان من المفترض عليهم أن يفعلوه مقابل ذلك كله هو أن يعرفوا الله تعالى ويوحده، كحد أدنى، ولو فعلوه لنجوا من الخلود في النار، وحققوا السعادة في الدنيا والآخرة، أتعقد أن هذا صعباً؟

إن حق الله تعالى على عباده الذين خلقهم أن يعبدوه وحده، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً. الأمر بسيط، هي كلمات يقولها الإنسان ويؤمن بها ويعمل بمقتضاها، وكافية للنجاة من النار، أليس هذا هو العدل؟ هذا هو حكم الله عز وجل، وهو الحكم العدل اللطيف الخبير، وهذا هو دين الله تبارك وتعالى.

48 (العنكبوت: 40).

49 (الرعد: 11).

المشكلة الحقيقية ليست في أن يخطئ الإنسان أو يرتكب ذنباً؛ لأن من طبيعة الإنسان الوقوع في الخطأ، فكل ابن آدم خاطئ، وخير الخاطئين التوابين، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن المشكلة هي في التمادي في اقتتاف المعاصي والإصرار عليها، والعيب أيضاً هو أن يُنصح الإنسان فلا يسمع النصيحة ولا يعمل بها، وأن يُدكر فلا تنفعه الذكرى، وأن يوعظ فلا يتعظ ولا يعتبر ولا يتوب ولا يستغفر، بل يصبر ويولي مستكبراً.

" وَإِذَا تَمَثَّلَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبِ أَلْمِ " 50.

قال: ولماذا لا نعصي الله؟

قلت له: إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل من رزقه، وأخرج من أرضه، وأبحث عن مكان آمن لا يراك الله فيه. وإذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك، قل له أخبرني حتى أتوب توبة نصوحاً وأعمل لله عملاً صالحاً، إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار، فلا تذهب معهم، قاومهم وامتنع عن الذهاب معهم، وخذ بنفسك إلى الجنة، فهل تستطيع فعل ذلك؟ 51.

قال: لا.

قلت له: إنك حين تقتني حيواناً أليفاً في منزلك، فأقصى ما ترجوه منه هو الطاعة، وهذا لأنك اشتريته فقط ولم تخلقه، فما بالك بخالقك وبارئك، ألا يستحق منك الطاعة والعبادة والاستسلام، ونحن مستسلمون رغباً عنا في هذه الرحلة الدنيوية في كثير من الأمور، قلنا ينبض، جهازنا الهضمي يعمل، حواسنا تدرك على أكمل وجه، وما علينا إلا أن نُسلم لله بباقي أمورنا التي حُزِنَّا فيها لنصل سالمين إلى بر الأمان.

قال: وما هو بر الأمان؟

قلت له: تتلخص نهاية الرحلة ووصول بر الأمان في هذه الآيات.

"وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوَقَّيْتُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَمَّ كَلِمَةَ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ " 52.

50 (الفان: 7).

51 قصة إبراهيم بن آدم.

52 (الزمر: 69-74).